



# الموت العقابي أو البدلي !!!

ماذا يعني الإحتكام إلى أثناسيوس؟

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

يفضّل نيافة الأنبا روفائيل الخطاب السماعي على تدوين ما لديه من أفكار، ولازال الميكروفون هو مرجعية الذين يفضلون الثقافة السماعية على المعرفة المكتوبة والمنشورة المستندة إلى مراجع موثقة.

وبمناسبة محاضرة نيافة الأنبا روفائيل الأخيرة يهمنا أن نوضح الآتي:

أولاً: ما سبق وأن ذكره نيافة الأسقف عن اللاهوت الجديد عارٍ عن الحقيقة تماماً؛ لأن أول من استخدم تعبير Neo Patristic هو الأب جورج فلوروفسكي في بحث نُشر بعنوان القديس غريغوريوس بالاماس (التسليم الأبائي، راجع الصفحات ١٠٩ - ١١٣). وكانت الدعوة التي تبناها فلوروفسكي في هذا الكتاب هي الابتعاد عن لاهوت العصر الوسيط، وعدم الجمع بينه وبين نصوصٍ من عند الآباء، بل فهم هذه النصوص في إطار التدبير وحاجة الكنيسة. إذن، فالدعوة في هذا الكتاب لم تكن دعوة إلى لاهوت جديد، بل العودة إلى الآباء. وبالتالي يصبح كلام نيافة الأنبا روفائيل بمثابة دعاية شفهوية للإبقاء على ما قدموه من انحراف عن طريق الآباء. ولم يكتفِ نيافته بما قاله عن اللاهوت الجديد، بل لصق الاتهام بالأب متى المسكين.

ثانياً: ما يزال نيافة الأنبا روفائيل يصر على أن القديس أثناسيوس في كتابه "تجسد الكلمة" يصلح ما بين لاهوت العصر الوسيط (تاريخياً بعد أثناسيوس!) ولاهوت الآباء. ولست أدري لماذا يصر نيافته على أن يحشر القديس أثناسيوس في موضوع لم يعرفه أثناسيوس<sup>(١)</sup>.

وفيما يبدو أن الخطأ جاء من الاعتماد على الترجمة العربية وحدها لكتاب تجسد الكلمة. فالقديس أثناسيوس لم يستخدم كلمة بديل *ανάλλαξιμ* وهي كلمة معروفة

(١) راجع محاضرة نيافته عن الغداء في فكر القديس أثناسيوس بتاريخ ٢٦/٩/٢٠١٩.

في العهد الجديد، ولم تُستخدم للتعليم عن موت الرب يسوع، بل جاءت في قول الرب: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"، وحسب ترجمة فانديك، وهو هنا سيء النية "أو ماذا يعطي فداءً عن نفسه" (متى ٢٦: ٢٦ - مرقس ٨: ٣٧). كلمة "البدل" وردت أيضاً ورد في لوقا ١١: ٢١ في قول الرب: "من منكم وهو أبٌ يسأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً أو سمكةً فيعطيه حياً بدل السمكة".

ولأن الرسولي أثناسيوس -حسب الأصل اليوناني- لم يستخدم كلمة "بديل"، فما ورد في الترجمة العربية هو غير ما يقصده الرسولي بـ "عن الجميع - ἀντι παντων". وهنا نضع أمام القارئ الفقرة كلها وليس سطرًا واحدًا فقط:

"هكذا اتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا. وإذا كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده عوضاً عن الجميع وقدمه للآب. هذا فعله من أجل محبته للبشر أولاً: لكي إذ كان الجميع قد ماتوا فيه، فإنه يُبطل عن البشر شريعة الموت والفناء لأن سلطان الموت استنفد في جسد الرب فلا يعود للموت سلطاناً على أجساد البشر" (فصل ٨: ٤ ترجمة د. جوزيف فلتس). وهنا يتضح لنا أن محتوى الفقرة لا يشير بالمرّة إلى البديل؛

أولاً: لأن البديل هو مَنْ يحل محل البشر، لا من مات الجميع فيه. يؤكد ذلك عبارة: "الجميع ماتوا فيه"، وهي عبارة قاطعة تؤكدها العبارة التي جاءت بعد ذلك: "يُبطل عن البشر شريعة الموت لأن سلطان الموت قد استنفد<sup>(١)</sup> في جسد الرب".

وثانياً: لأن نهاية سلطان الموت شملت الجنس البشري كله، ولذلك فالرب ليس

(١) من الغريب أن نيافة الأنبا روفائيل يقرأ هذه الكلمة بمعنى أن الموت نُفِّد في جسد الرب، وهو ما يفيد -من وجهة نظره- البعد القانوني أو القضائي، في حين أن كلمة استنفد في جسد الرب -وصحتها لغوياً: استنفد- تعني أن الموت فقد قوته بقيامة الرب بالجسد! وهو المعنى الذي أكد عليه أثناسيوس في نهاية الفقرة بقوله: "وبنعمة القيامة يبطل الموت منهم كما تبطل النار القش".

بديلاً لأحد. إذن، فالحديث عن الرب باعتباره "البديل" هو انحرافٌ خطيرٌ.

## الفصل ٩ من تجسد الكلمة

كتب الرسولي: "أدرك الكلمة جيداً أنه لم يكن ممكناً أن يقضي على فساد البشرية بأي طريقة أخرى سوى الموت عن الجميع. ومن غير الممكن أن يموت الكلمة لأنه غير مائت لأنه ابن الآب غير المائت" (٩: ١ ص ٢٣). فالابن مثل الآب تماماً، وهما من جوهر واحد، الابن الإله الكلمة لا يموت، ولكن الكلمة "اتخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى أنه عندما يتحد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الجميع<sup>(١)</sup> يصبح جديراً ليس فقط أن يموت عن الجميع، بل ويبقى في عدم فساد بسبب اتحاد الكلمة به" (٩: ١ ص ٢٣).

ويشرح الرسولي كلامه بدقة، لأن موت الرب في جسد قابل للموت "يمنع الفساد ... بنعمة القيامة" (٩: ١ ص ٢٣)، فقد أخذ الكلمة موتنا نحن وأعطانا قيامته. "قدّم للموت ذلك الجسد الذي اتخذه لنفسه كتقدمة مقدسة وذبيحة خالية من كل عيب ... فإنه رفع الموت فوراً عن جميع نظرائه من البشر" (٩: ١ ص ٢٣ - ٢٤).

ومرة ثانية: أخذ الكلمة الموت في جسده "ذاق الموت بالجسد" (صلاة الساعة التاسعة). رفع الموت لأنه لا يموت كإله، لذلك فهو ليس بديلاً، بل هو المخلص والفادي. وجسد المسيح ليس حياً مثل أجسادنا، بل هو حيٌّ بالاتحاد بأقنوم الله الكلمة، ولذلك السبب ذاته جاءت غلبة الموت ونعمة القيامة.

أقول لنيافة الأنبا روفائيل هذه ليست قضية مصطلحات، وهي ليست قضية

(١) من الغريب أيضاً أن نيافة الأنبا روفائيل في هذه المحاضرة عندما يشرح تعبير "فوق الكل"، يحذر أن يساوي أحد نفسه بالمسيح قائلاً: "فوق الكل معناها موش زبنا، دا حاجة تانية خالص ... أوعوا حد في الدنيا يظن أنه يساوي نفسه بالمسيح، أو يساوي أي شخص بالمسيح"، فكيف -والحال هكذا- يكون المسيح بديلاً!!!

ترجمة من اليونانية إلى العربية، على الرغم من أن دقة الترجمة مطلوبة، واستخدام عدة كلمات لعمل الرب يسوع العظيم في تجسد الكلمة، ووضع د. جوزيف حواشي هامة، لا يغلق باب البحث بالمرّة.

### كلمة "فدية" (ف ٩ : ٢ و ٣٢ : ٣)

ما هو قصد الرسولي الواضح من خلال شرحه هو، وليس يقنص كلمة هنا أو سطرٍ هناك؟ في الفصل التاسع كتب القديس أثناسيوس:

"لأن كلمة الله هو فوق الجميع، فقد كان لائقًا أن يقدم هيكله الخاص وأداته البشرية فديةً عن حياة الجميع موفيًا دين الجميع بموته".

واقتناص هذه الفقرة بالذات، سهلٌ على من تربى على لاهوت العصر الوسيط أو كتب الشيع الإنجيلية. ولكن يجب الانتباه إلى أن تقدم هيكل الكلمة الإله فديةً ينفي تمامًا فكرة البديل حسب ما ورد بعد ذلك:

"وهكذا باتخاذ جسدهً ماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عدسّم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بالوعد بالقيامة من الأموات، ولم يعد بعد الفساد الفعلي والكامن في كل كيان إنساني، بالموت له أي سلطان على البشر بسبب الكلمة الذي جاء وسكن بينهم بواسطة جسده" (٩ : ٢).

وهنا بالتحديد يظهر أن لاهوت العصر الوسيط منذ أنسلم قد ركّز الفداء كله في موت الرب يسوع وأهمّل القيامة، ولذلك برزت فكرة البديل في هذا اللاهوت.

وإذا كان أثناسيوس لم يكتفِ بذلك، بل قال:

- وحّد الكلمة ذاته بنا.

- سكنى الكلمة بيننا أو بأكثر دقة فينا.

- ألبس الجميع عدم الفساد بالقيامة.

فمن يمكنه بعد هذه الكلمات أن يرفع صوته بتعبير "الموت البديل"، أو "البديل العقابي"؟

## "كان الموت داخلنا" (ف ١٦ : ٥)

في الفصل ١٣ كتب الرسولي أن الرب "أخذ جسداً قابلاً للموت حتى يبيد فيه الموت، ويجدد خلقة البشر الذي خُلِقوا على صورته" (١٣ : ٩)، فإذا كان الرب قد أباد الموت في جسده، فهل يستطيع أحد أن يقول إن الرب مات كبديل؟

يجيء الرد من ذات كلمات أثناسيوس في (ف ١٦ : ٤ - ٥).

"المخلص تتم بتأنسه عمل المحبة المزدوج (عملية المحبة) أنه أباد الموت من داخلنا وجددنا ثانية... أعلن ذاته وعرفنا بأعماله في الجسد".

وعبارة "جسد قابل للموت"، تؤكد أنه لم يكن البديل، بل في هذا الجسد "تم إعلان متلازمان الأول هو أن موت الجميع قد تم في جسد الرب والثاني هو أن الموت والفساد قد أُبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به" (٢٠ : ٤ - ٥).

أيضاً "وهذا لم يُظهر أن الكلمة ضعيفٌ، بل بالحري بيّن أنه هو المخلص، وهو الحياة، إذ أنه أولاً انتظر إلى أن يأتيه الموت ليبيده" (٢٢ : ٢).

- وأيضاً "نحن الذين حملنا في جسده الخاص" (٢٥ : ٦).

- وأيضاً "أباد الموت في جسده بقوة المخلص" (٢٦ : ٦).

- وبالتالي "الموت أُييد بنعمة قيامة المخلص" (٢١ : ٢).
- وأيضًا "الموت والفساد أُبيدا من الجسد بفضل اتحاد الكلمة به" (٢٠ : ٥).
- وهكذا "الإنسان المائت صار غير مائت" (٢٠ : ١).
- "تحول الفاسد إلى عدم فساد" (٢٠ : ١). وهذا تم في الرب أولاً لكي يُوهب لنا.

### الرب هو الحياة ذاتها (٢٠ : ١)

جاء الرب إلينا متجسدًا لكي يعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله ... ولم يكن ممكنًا أن يجعل الإنسان المائت، غير مائت إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (٢٠ : ١)

"هو الحياة وكل الكائنات تستمد منه الحياة وتعتمد عليه في بقائها" (١٧ : ٦).

- "هو هيكل الحياة" (٣١ : ٤، ٤٤ : ٥، ٤٧ : ٢، ٥٤ : ٣).

فكيف يكون الرب بعد كل هذا هو البديل؟ وهل بعد كل هذا يمكننا أن نستنتج أنه حلَّ محل آخر، أو أخذ مكان آخر؟!!!

عندما يكتب أثناسيوس نفسه ويسأل: "ماذا يمكن أن تكون نهاية هذا الجسد بعد أن حلَّ فيه الكلمة؟ ... من المستحيل أن يبقى هذا الجسد مئيتًا بعد أن جُعِلَ هيكلًا للحياة. وبهذا إذ قد مات كجسد مائتٍ، فإنه عاد إلى الحياة بسبب الحياة التي فيه .." (٣١ : ٤).

وعندما يكتب الرسولي أثناسيوس إن الرب قدَّم جسده عن الجميع أو لأجل الجميع، فلا يعني ذلك أنه يضع الرب بمثابة البديل؛ لأن فكرة البديل لا محل لها هنا ولا

يعرفها أثناسيوس، بل الأجدد بنا أن نعتزف بأن التعبير "عن الجميع" هو بمثابة تأكيد على جدوى عدم التوبة لرفع الموت.

يكفي أن نعيد ما كتبه الرسولي (٤٤ : ٤) : "ينبغي أن يُعزف ... أن الفساد الذي حدث لم يكن خارج الجسد، بل كان ملتصقًا به. وكانت الحاجة إلى أن تلتقي الحياة بدلاً من الفساد حتى كما صار الموت في الجسد تصوير الحياة في داخل الجسد. .. لو أن الموت كان خارج الجسد لكان من الملائم أيضًا أن تصوير الحياة خارج الجسد أيضًا. ولكن مادام الموت قد صار داخل نسيج الجسد وبوجوده في كيانه (الجسد) سائدًا عليه، لذلك كان من اللازم أن تصوير داخل نسيج الجسد أيضًا حتى إذا لبس الجسد الحياة بدل الموت، فإنه يُرَفَع عنه الفساد ...".

وفي الفقرة التالية من نفس الفصل (٤٤ : ٦) : "لهذا كان من الصواب أن يلبس المخلص جسدًا لكي إذا اتحد بالحياة لا يعود يبقى في الموت كماتت، بل إذ قد لبس عدم الفساد، فإنه يقوم ثانيةً ويظل غير مائتٍ ..".

وأخيرًا كتب الرسولي : "وكما أن الموت بحسب طبيعته لم يكن ممكنًا أن يظهر إلا في الجسد، لذلك لبس الكلمة جسدًا لكي يلاقي الموت في جسده ويبيده ....".

يتبع